

وساعد على ذلك ما كان من صراع طويل وحروب متصلة بين الدوليين الفارسية والبريطانية مما أدى إلى إغلاق طريق التجارة الشمالي الذي كان يصل بين العراق والسنام ، وتحول القوافل النحارية إلى طرق الجزيرة العربية التي كانت تدور حولها على امتداد سواحلها ، أو التي تخترقها عن طريق وادي الرمة بين الحيرة والحجاز ، أو عن طريق القطيف واليمامة ، وقد اتخذت هذه الطرق كلها من مكة نقطة تجمع لها ومركزاً لالتقائها وانطلاقها . ووقفت وراء ذلك ظروف مكة الطبيعية وموقعها الجغرافي في منتصف طريق القوافل بين اليمن والسنام ، وانتهاء الطرق الممتدة من السواحل الشرقية إليها تم توفر الماء العذب الذي تكملت به بئر زمزم الثرية الدفاقة بالماء ، ووجود الكعبة بها . وما يترتب عليه من تجمع العرب من شتى أرجاء الجزيرة في مواسم الحج التي كانت أيضاً مواسم للتجارة . وهي مواسم ظهرت معها مجموعة من الأسواق التجارية تلتقى عندها القوافل التجارية ، ويتجمع فيها تجار الجزيرة من شتى القبائل . وفعلاً شهدت المناطق القريبة من مكة والمحيطية بها ذلك الثالوث المشهور الذي يتألف من عكاظ ومجنة وذى المجاز .

ومن بين هذا الثالوث التجاري يلمع اسم عكاظ التي لم تكن سوقاً تجارية فحسب ، وإنما كانت أيضاً سوقاً اجتماعية وسوقاً أدبية ، حتى لتتراءى في تاريخ العصر الجاهلي كأنها مهرجان من مهرجانات الإغريق التي كانوا يحتفلون بها في أعياد آلهتهم . وحقا لقد لعبت عكاظ دوراً كبيراً في حياة العرب الأدبية ، فقد كانت مهرجاناً أدبياً ضخماً يقام كل عام في موسم الحج ، ويتوافد عليه شعراء القبائل وخطبائهم فيتبارون أمام الجماهير الوافدة من شتى أرجاء الجزيرة للحج والتجارة ، ويحكم بينهم حكام لهم منزلتهم الأدبية ، تضرب لهم فيها قباب مميزة يقصد إليها المتبارون ليعرضوا عليهم أعمالهم الأدبية . وفي كتب التاريخ والسيرة والمصادر الأدبية صورة لهذا النشاط الأدبي الذي كانت تشهده عكاظ كل عام ، فقد ألقى بها قس بن ساعدة الإيادي